قيمة التنفس
God
Bless
كولن نيكلسون

قيمة النفْس

كولن نيكلسون

maranathamedia.com

2021

قيمة النفْس

هل سمعتَ يومًا من يقول إن البشرية حقيرةٌ ولا قيمة لها؟ هل سمعت من يحكم على البشرية بأنها تستحق أن تُرمى في مزبلة؟ هل شعرتَ يومًا، أو أُجبرتَ على الشعور، بأنكَ بلا قيمة، وبأن لا أمل لك؟

في المزمور 8:4 نقرأ هذا:

ما الإنسانُ حتّى تذكُرَهُ؟ ابنُ آدمَ حتّى تَفتَقِدَهُ؟

هذا سؤال جيد. ما الإنسان؟

بِعَرَقِ جبينِكَ تأكُلُ خُبزَكَ حتّى تَعودَ إلى الأرضِ لأنَّكَ مِنها أُخِذْتَ. فأنتَ تُرابٌ، وإلى التُّرابِ تعُودُ. التكوين 19:3

إذن الإنسان تراب. أليست فكرة تجعل الشخص يتواضع؟ الإنسان تراب. ما قيمة كومة من التراب؟ ليس كثيرًا.

ولكن في الخلق، صنع الله شيئًا مميزًا جدًا من هذا التراب.

وجَبَلَ الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ تُرابًا مِنَ الأرضِ، ونَفَخَ في أنفِهِ نَسَمَةَ حياةٍ. فصارَ آدَمُ نَفسًا حَيَّةً. التكوين 7:2

أصبحت كومة التراب نفسًا حية، خُلقت على صورة الله. لكن جاء مغتصب، فاختار الإنسان الموت على الحياة، لأن أجرة الخطيئة موت (رومية ٦: ٢٣)، وكراهية الله محبة للموت (أمثال ٨: ٣٦).

رغم دخول الخطيئة إلى العالم، لا أجد في الكتاب المقدس ما يُسمى بالبشرية عديمة القيمة، ولا أجد ذلك في روح النبوة. ومع ذلك، قد نجد بعض الأمور عديمة القيمة.

وقَدْ صِرنا كُلُّنا كنَجِسٍ، وكثَوْبِ عِدَّةٍ كُلُّ أعمالِ برِّنا، وقَدْ ذَبُلنا كوَرَقَةٍ، وآثامُنا كريحٍ تحمِلُنا. إشعياء 6:64

كلنا نجسون. الكلمة العبرية المترجمة "نجس" تعني أيضًا "ملوث" أو "فاسد" أو "مدنس"، وهو ما فعلته الخطيئة بالبشرية تمامًا. لاحظ أن النص لا يقول إن البشرية بلا قيمة. عندما نقرأ، نرى أن برّنا هو كخرقة بالية. هذا هو ما لا قيمة له، وليس الشخص.

في أيوب 13: 4 قيل لنا:

أمّا أنتُمْ فمُلَفِّقو كذِبٍ. أطِبّاءُ بَطّالونَ كُلُّكُمْ.

لا يقول أيوب إن أصدقاءه لا قيمة لهم، بل يقول إن سلوكهم لا قيمة له لأنهم لم يقدموا له أي راحة أو مساعدة.

في الأمثال 10: 20

لسانُ الصِّدّيقِ فِضَّةٌ مُختارَةٌ. قَلبُ الأشرارِ كشَيءٍ زَهيدٍ.

ما هو الزهيد قليل القيمة؟ ليس الشرير، بل قلب الشرير.

في كتابتها تحت الإلهام، ما الذي قالت السيدة وايت إنه لا قيمة له؟

لقد عرف يسوع أن مظاهر الزينة الأرضية بلا قيمة، ولم ينشغل بعرضها. (1 رسائل مختارة 259.2)

ما الذي كان بلا قيمة؟ ليس الشخص المتباهي، بل ممارسة البذخ الدنيوي.

في جميع دروسه، بيّن يسوع للناس عدم جدوى الطاعة الطقسية. (علامات الأزمنة، 9 يونيو 1890، فقرة 9)

ما هو الباطل عديم القيمة؟ ليس مَن يمارسون الطاعة الطقسية للخلاص، بل ممارسة الطاعة الطقسية.

مع اقتراب نهاية العالم، ينبغي أن نُبقي في أذهاننا روحانية الناموس، وانعدام قيمة الطاعة الشكلية والطقسية للوصايا، كما هو الحال في الدين القائم على الناموسية. (نشرة المؤتمر العام، ١ أكتوبر ١٨٩٦)

ما هو عديم القيمة؟ ليس الناس، بل الطاعة الشكلية والطقسية للوصايا، في إطار دين ناموسي.

إن جهود الإنسان وحدها لا قيمة لها؛ أما التعاون مع المسيح فهو النصر. (1 رسائل مختارة 381)

ما الذي لا قيمة له؟ ليس الإنسان، بل جهود الإنسان وحدها.

من الواضح إذن أن ما تتمسك به البشرية بدلًا من يسوع هو الذي لا قيمة له، لكن البشرية نفسها، على الرغم من خطيئتها وتمردها، بل وحتى رفضها للإيمان، أي أنها معزولة تمامًا عن الروح القدس، لا يُطلق عليها في أي مكان "عديمة القيمة". مع أن بولس، في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ٣: ٥، يدعو إلى الابتعاد عن هؤلاء الناس، إلا أنه لا يقول إنهم بلا قيمة.

فلا بدّ إذن أن للإنسانية قيمة، لا بدّ أن يكون لها قيمة. وفي الواقع، لنا قيمة، وقيمتنا عند الله وعند ابنه عظيمة، لدرجة أنه في حال خطيئة الإنسان، كان خلاصنا مُقدّرًا قبل خلق العالم.

عالِمينَ أَنَّكُمُ افتُديتُمْ لا بأشياءَ تفنَى، بفِضَّةٍ أو ذَهَبٍ، مِنْ سيرَتِكُمُ الباطِلَةِ الّتي تقَلَّدتُموها مِنَ الآباءِ، بل بدَمٍ كريمٍ، كما مِنْ حَمَلٍ بلا عَيبٍ ولا دَنَسٍ، دَمِ المَسيحِ، مَعروفًا سابِقًا قَبلَ تأسيسِ العالَمِ، ولكن قد أُظهِرَ في الأزمِنَةِ الأخيرَةِ مِنْ أجلِكُمْ، 1 بطرس 1: 18-20

قالت السيدة وايت هذا:

خلاصنا كامل، لأنه مبني على إتمام خطة وُضعت قبل تأسيس العالم. {ريفيو آند هيرالد، ٢٥ يوليو ١٨٩٩، الفقرة ١٤}

هذا هو العهد الأبدي الذي تصوره عقل الله بسبب القيمة التي وضعها على كل نفس بشرية ضالة.

هذا يأتي من المخطوطة 198، الفقرة 14، عام 1899:

لقد تجلّت محبة مخلصنا ولطفه للبشر. بدأ عهد نعمة المسيح قبل خلق العالم. كان موجودًا منذ الأزل ويُسمى العهد الأبدي. وكما لم يكن هناك وقت لم يكن الله موجودًا فيه، لم تكن هناك لحظة أيضًا لم تكن فيها نعمته تجاه البشرية جزءًا من خطته الأبدية وفرحه الأعمق - خلاص الجنس البشري المتشكل على صورته. لا ينبغي لأحد أن يظن أن خطة الفداء قد وُضعت فقط بعد سقوط آدم وحواء في تجربة الشيطان، كما لو كانت مجرد رد فعل على عمل المدمر الرهيب. "مَعلومَةٌ عِندَ الرَّبِّ منذُ الأزَلِ جميعُ أعمالِهِ". [أعمال الرسل 15: 18]. لقد تم عمل كل شيء من أجل والدينا الأولين لجعلهم طاهرين والحفاظ عليهم طاهرين.

العهد الأبدي هو من الأزل، من قبل خلق العالم، وبالتالي فهو عهد بين الآب وابنه من أجل البشرية.

ماذا حدث عندما أخطأ آدم؟ ذهب المسيح إلى أبيه ليشفع في القضية.

وهذا هو سجل ما حدث من "علامات الأزمنة، 4 نوفمبر 1908":

لقد تأثر ابن الله، القائد السماوي المجيد، تأثرًا عميقًا بالإنسانية التي سقطت في الخطيئة. وبينما كان ينظر إلى معاناة العالم الضائع ويأسه، فاض قلبه برحمة لا حدود لها. ومع ذلك، فقد ابتكر الحب الإلهي سبيلًا لخلاص البشرية. لقد اقتضت شريعة الله المكسورة موت الخاطئ، ومن بين الخليقة كلها، لم يكن هناك سوى واحد قادر على تلبية مطالبها نيابةً عن البشرية. ولأن الشريعة مقدسة وغير متغيرة كالله نفسه، فلا يمكن إلا لشخص مساوٍ لله أن يقدم الكفارة اللازمة. كان المسيح وحده قادرًا على تحرير البشرية من لعنة الشريعة واستعادة السلام بين البشرية والسماء. اختار أن يتحمل ذنب الخطيئة وعارها - وهي خطيئة مقيتة جدًا لدى إله قدوس لدرجة أنها قد تسبب الانفصال بين الآب والابن. في المحبة، سينزل المسيح إلى أعماق البؤس لإنقاذ الجنس البشري المدمر. {الفقرة 2}

أمام الآب، تشفّع من أجل الخطاة، بينما كانت السماء كلها تنظر بترقب صامت ممزوج بالرهبة لا يمكن للكلمات وصفه. استمر طويلًا ذلك الاجتماع الغامض - المسمى "مشورة السلام" [زكريا 6: 13] – لأجل البشرية الساقطة. لقد وُضعت خطة الخلاص قبل خلق الأرض؛ لأن المسيح هو الحمل "المعيّن مسبقًا قبل تأسيس العالم"؛ إلا أنه كان قرارًا صعبا، حتى لملك الكون، لتقديم ابنه ليموت من أجل الجنس البشري الآثم. ولكن "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكيلا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية". يا لسر الفداء! محبة الله لعالم لم يحبه! من

يستطيع أن يعرف أعماق تلك المحبة "الفائقَةَ المَعرِفَةِ"؟ وإلى الأبد، ستتعجب العقول الخالدة، وهي تسعى إلى فهم سر تلك المحبة التي لا تُدرك. {الفقرة 3}

هذا يكشف أن للإنسانية قيمةً عميقةً في نظر الآب وابنه. فما قيمة النفس إذًا؟

ما القيمة؟ القيمة تُحدد بما يُقدمه المرء في سبيل الحصول على شيء ما.

في صحيفة "علامات الأزمنة" بتاريخ 18 أكتوبر 1899، قالت السيدة وايت:

إن قيمة الروح تُقدر بالسعر الذي يُدفع مقابلها.

في كتاب دروس المسيح العملية (نشر تحت اسم المعلم الأعظم في العربية)، صفحة 196، نقرأ:

قيمة النفس، من يقدرها؟ هل تريد أن تعرف قيمتها؟ اذهب إلى جثسيماني، وهناك راقب المسيح خلال ساعات حزنه العميق، حين كان عذابه شديدًا لدرجة أن عرقه تساقط كقطرات دم. انظر إلى المخلص المرفوع على الصليب. اسمع صرخة اليأس: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" (مرقس ١٥: ٣٤). تأمّل رأسه المجروح، وجنبه المثقوب، وقدميه المليئتين بالندوب. تذكر أن المسيح خاطر بكل شيء. من أجل فدائنا، كانت السماء نفسها في خطر. عند قدم الصليب، متذكرًا أن المسيح كان مستعدًا للتضحية بحياته من أجل خاطئ واحد، يمكنك أن تقدر قيمة النفس.

ماذا يُخبرنا الكتاب المقدس عن قيمة النفس؟

لنبدأ من متى ١٣: ٤٥، ٤٦.

أيضًا يُشبِهُ ملكوتُ السماواتِ إنسانًا تاجِرًا يَطلُبُ لآلِئَ حَسَنَةً، فلَمّا وجَدَ لؤلؤَةً واحِدَةً كثيرَةَ الثَّمَنِ، مَضَى وباعَ كُلَّ ما كانَ لهُ واشتَراها.

هناك عدة طرق لتفسير هذا المثل. إحدى هذه الطرق تساعدنا على تحديد قيمة النفس. فيما يلي بعض الشروحات للمثل التي تلقي الضوء على هذا الموضوع.

لهذا المثل دلالة مزدوجة، فهو لا ينطبق فقط على الإنسان الساعي إلى ملكوت السماوات، بل على المسيح الساعي إلى ميراثه المفقود. فبالمعصية، فقد الإنسان براءته المقدسة، ورهن نفسه للشيطان. أما المسيح، ابن الله الوحيد، فقد كرّس نفسه لفداء الإنسان، ودفع ثمن فدائه على صليب الجلجثة. ترك العوالم غير الساقطة، رفقة الملائكة القديسين في السماء؛ لأن قلبه لم يهدأ بينما ظل البشر منفصلين عنه. يخلع التاجر السماوي رداءه الملكي وتاجه. ومع أنه أمير وقائد كل السماوات، إلا أنه يرتدي زي البشرية، ويأتي إلى عالم مزقته الخطيئة، ليبحث عن اللؤلؤة المفقودة، ليبحث عن الإنسان الساقط بسبب المعصية. من أجلنا، افتقر لنغتني نحن بفقره. {معلم الشباب، ١٠ أكتوبر ١٨٩٥، الفقرة ٢}

هذا من مجموعة بولسون الصفحات 399 و400:

من لا يتحكم في دوافعه لا يدعوه الله للتعامل مع العقول البشرية. لهذا العمل، ثمة حاجة إلى كثير من الصلاة، وكثير من التواضع أمام الله، ووعيًا صادقًا بقيمة النفس البشرية، التي دفع المسيح ثمنًا باهظًا من أجلها. لقد ترك متع السماء سعيًا وراء اللؤلؤة الثمينة. وعندما يُعثر عليها، تفرح السماء كلها ... لقد وجد المسيح لؤلؤته الثمينة في النفوس الهالكة الضالة. باع كل ما كان يملك ليحصل عليها، التزم تمامًا بهذا العمل، وخاطر بحياته في الصراع. فكيف ينبغي للإنسان إذًا أن ينظر إلى أخيه الإنسان؟

وأخيرًا من المخطوطة رقم 45، سنة 1895، صفحة 20:

لكي ندرك القيمة التي يضعها الله على الإنسان، علينا أولًا أن نفهم خطة الفداء، الثمن الباهظ الذي دفعه مخلصنا لإنقاذنا من الهلاك الأبدي. بذل يسوع حياته ليستعيد لؤلؤَةً واحِدَةً كثيرَةَ الثَّمَنِ - الإنسانية. بذل الله ابنه الوحيد ليحررنا من نير الخطيئة. نحن خليقته، ممثّلوه على الأرض، وهو يدعونا لنعكس القيمة الحقيقية للحياة البشرية من خلال أسلوب حياتنا - بالعيش بنقاء، وببذل كل ما في وسعنا للمساعدة في استعادة اللؤلؤة المفقودة إلى مكانها الصحيح.

التاجر هو الله نفسه. هناك لؤلؤة ثمينة لا يملكها.

تلك اللؤلؤة هي أنت، وهي أنا. ليشتريها، عليه أن يبيع كل ما يملك.

لقد ضحى الله بابنه الوحيد، وقدّمه. لفهم ذلك في سياق يمكننا أن نبدأ في استيعابه، تأمل في هذا:

عندما بذل الآب ابنه ليعيش ويموت من أجل الإنسان، وضع كل كنوز السماء في متناول أيدينا. {الرسالة ١٤٣، ١٩٠٠}

لأن العالم قد خُرِّبَ بسبب الخطيئة، فقد وهب الله ابنه ليجذب الناس إليه. "هكذا أحبّ العالم حتى بذل" كل ما في وسع السماء لخلاص الهالكين. {ريفيو آند هيرالد، ١١ أغسطس ١٨٩٦، الفقرة ٧}

لكي نُدرك قيمة اللؤلؤة - أي قيمة كلٍّ منا - علينا أولًا أن نفهم قيمة ابن الله، لأن حياته هي التي بُذلت من أجلنا. ولا تنسوا: قيمة ما يُعطى في المقابل تكشف عن قيمة ما يُكتسب. فماذا يقول الكتاب المقدس عن هذا؟

انتقل إلى 2 كورنثوس 9: 14، 15.

وبدُعائهِمْ لأجلِكُمْ، مُشتاقينَ إلَيكُمْ مِنْ أجلِ نِعمَةِ اللهِ الفائقَةِ لَدَيكُمْ. فشُكرًا للهِ علَى عَطيَّتِهِ الّتي لا يُعَبَّرُ عنها.

نرى هنا أن نعمة الله الفائقة هي عطيته التي لا يُعَبَّرُ عنها. ماذا يقصد بولس بـ "الّتي لا يُعَبَّرُ عنها"؟ تعجز الكلمات عن وصفها. إنها أعظم من أن نُدركها.

ما هي نعمة الله الفائقة هذه؟ انظر تيطس ٢: ١١.

لأَنَّهُ قد ظَهَرَتْ نِعمَةُ اللهِ المُخَلِّصَةُ لجميعِ النّاسِ،

النسخ التفسيرية من الكتاب المقدس تضع عبارة "لجميع الناس" بعد كلمة "الخلاص"، فيصبح نص الآية على النحو التالي :

لأن نعمة الله، التي تأتي بالخلاص لجميع الناس، قد ظهرت.

انتقل إلى يوحنا 1: 14-17

والكلِمَةُ صارَ جَسَدًا وحَلَّ بَينَنا، ورأينا مَجدَهُ، مَجدًا كما لوَحيدٍ مِنَ الآبِ، مَملوءًا نِعمَةً وحَقًّا. يوحَنا شَهِدَ لهُ ونادَى قائلًا: «هذا هو الّذي قُلتُ عنهُ: إنَّ الّذي يأتي بَعدي صارَ قُدّامي، لأَنَّهُ كانَ قَبلي». ومِنْ مِلئهِ نَحنُ جميعًا أخَذنا، ونِعمَةً فوقَ نِعمَةٍ. لأنَّ النّاموسَ بموسى أُعطيَ، [أمّا] النِّعمَةُ والحَقُّ فبيَسوعَ المَسيحِ صارا.

بجمع كل هذا، نرى أن نعمة الله المخلّصة، التي تجلب الخلاص لجميع البشر، قد ظهرت أو تجلّت في شخص ابنه، يسوع المسيح، الذي جاء بملء شخصية أبيه، ممتلئًا نعمة وحقًا. هذه هي هبة الله التي لا تُوصف. لا نستطيع وصف عظمة هذه الهبة المُعطاة لخلاص النفوس، حتى لخلاص نفس واحدة.

في كتابات إيلين وايت، صادفت العديد من الصور التي تساعدنا على البدء في فهم عظمة "الهدية التي لا توصف" والتي هي نعمة الله، والتي هي ابنه الوحيد، يسوع المسيح.

كان إسحاق رمزًا لابن الله، الذي قُدِّم ذبيحة عن خطايا العالم. أراد الله أن يُرسّخ في قلب إبراهيم إنجيل خلاص البشر. ولتحقيق ذلك، وجعله حقيقة له، واختبارًا لإيمانه، طلب منه أن يذبح حبيبه إسحاق. كل الحزن والألم اللذين تحملهما إبراهيم خلال تلك المحنة المظلمة والمرعبة كانا ليُرسّخا في ذهنه بعمقٍ خطة فداء الإنسان الساقط. لقد أدرك من خلال تجربته الخاصة مدى عظمة إنكار الله اللامتناهي لذاته عندما ضحى بابنه ليموت لإنقاذ الإنسان من الهلاك. لم يُضاهي أي عذاب نفسي عذاب إبراهيم الذي تحمله إطاعةً للأمر الإلهي بالتضحية بابنه. {الشهادات، المجلد 3، ٣٦٩,١}

لا نستطيع إلا أن نحاول أن نتخيل ما مر به إبراهيم دون أن نختبره بأنفسنا، ولكن هذا يساعدنا على أن نبدأ في فهم تكلفة خلاصنا بالنسبة لله.

العبارة التالية تحتوي على صور قوية بشكل خاص.

الآب الأزلي، الذي لا يتغيّر، قدّم ابنه الوحيد، منسلخا من حضنه، والذي هو على صورة ذاته، وأرسله إلى الأرض ليُظهر للبشرية عظم محبته. {ريفيو آند هيرالد، ٩ يوليو ١٨٩٥، الفقرة ١٣}

يمكنك أن ترى أنه بالنسبة لله، فإن إرسال يسوع إلى هذا العالم لم يكن أمرا سهل.

كان المشهد مؤثرًا للغاية. تلك الكلمات القوية "منسلخا من حضنه" جعلتني أفكر، من منظور إنساني، بأم تحتضن طفلها، ثم ينتزعه أحدهم منها. يا له من ألم!

هذا من تفسير الكتاب المقدس، المجلد رقم 7، صفحة 915.3

> يُسمى عمل الفداء لغز، وهو في الواقع اللغز الذي يُجلب به البر الأبدي لكل من يؤمن. نتيجةً للخطيئة، كان الجنس البشري في عداوة مع الله. المسيح، فبثمن باهظ، وبعملية مؤلمة، غامضة للملائكة والبشر على حد سواء، اتخذ البشرية. أخفى لاهوته، وتخلى عن مجده، وولد طفلاً في بيت لحم. عاش في جسد بشري شريعة الله، ليُدين الخطيئة في الجسد، ويشهد للكائنات السماوية أن الشريعة قد وُضعت للحياة ولضمان السعادة والسلام والخير الأبدي لكل من يُطيع. لكن نفس التضحية اللانهائية التي هي حياة للمؤمنين هي شهادة إدانة للعصاة، ناطقة الموت لا الحياة. (المخطوطة ٢٩، ١٨٩٩).

هل كان قرارًا سهلاً على الآب أن يسمح لابنه بفداء الإنسان الخاطئ؟

تأمل في هذا:

> قال الملاك: أتظنون أن الآب أسلم ابنه الحبيب بلا عناء؟ كلا، كلا. بل كان الأمر صراعًا لإله السماء، إما أن يترك المذنب يهلك، أو أن يسلم ابنه الحبيب ليموت من أجلهم. {1 المواهب الروحية 26: 2}

تخيل ذلك. إله الكون القدير يُصارع من أجل التوفيق بيننا وبين ابنه. كيف تشعر حيال هذا؟

السبب في ذلك هو أن هذه معاملة "محفوفة بالمخاطر". المعاملة الآمنة هي التي تضمن تبادلًا مضمونًا للقيمة. على سبيل المثال، أعطي صاحب المتجر نقودًا فيُعطيني سلعًا بتلك القيمة. المعاملة "الخطرة" هي التي قد أخسر فيها كل شيء.

هناك أعطيتُ التاجرَ مالي، فهربَ بأموالي والبضاعة، ولم يبقَ لي شيء. تلك كانت المعضلةُ التي واجهها الله. ماذا لو ضاع منه ابنه إلى الأبد؟

في كتاب "مشتهى الأجيال" نقرأ هذا:

> ومع ذلك، في العالم الذي ادّعى فيه الشيطان السيادة، سمح الله لابنه أن يأتي، طفلاً عاجزًا، خاضعًا لضعف البشرية. سمح له بمواجهة خطر الحياة مثل كل نفس بشرية، ليخوض المعركة كما يخوضها كل ابن من أبناء البشرية، مجازفًا بالفشل والخسارة الأبدية. {مشتهى الأجيال 49.1}

دعونا نلخص الأمر بهذا:

بتقديم ابنه الوحيد ليموت على الصليب، أظهر لنا الله تقديره للنفس البشرية. فكل ما يُعجب به العالم، وكل ما يعتبره ثمينًا، يتلاشى ويغدو بلا وزن عندما يُقارن بقيمة نفسٍ واحدة؛ إذ دُفعت فدية لا تُضاهى عن تلك النفس. لقد وُهبت كل السماء بعطية واحدة. {6 إصدارات المخطوطات 2.2}

كيف تشعر إذًا؟ هل هو شعورٌ بالتواضع؟ أم شعورٌ بالارتقاء؟ هل يمتلئ عقلك بحمد الله؟

لو تركت الأمر عند هذا الحد، لكنتَ راضيًا لأنك الآن تُدرك قيمة الروح، أليس كذلك - على الأقل بقدر ما تستطيع عقولنا الساقطة؟ يمكننا أن نبدأ بإدراك أن حياة ابن الله قد بُذلت من أجلنا. لذا، تُقاس قيمة الروح بحياة ابن الله.

حسنًا، عندما نعتقد أننا بدأنا نفهم، يرفع الله سقف توقعاتنا قليلًا. ألقِ نظرة على هذا.

كل عطية مختومة بالصليب وتحمل صورة يسوع المسيح ونقشه. كل شيء من الله. من أصغر النعم إلى أعظمها، تتدفق جميعها عبر قناة واحدة - وساطة خارقة، مُرشوشة بالدم الذي لا يُقدّر بثمن، لأنه كان حياة الله في ابنه. {1888 814.2}

يا إلهي! عندها فقط، تغيرت نظرتي لتضحية المسيح على الصليب جذريًا. الحياة في الدم - (لاويين ١٧: ١١ و١٤؛ تثنية ١٢: ٢٣). نحن نعلم ذلك. سفك الدم هو سفك حياة. على الصليب، من الذي سُفكت حياته؟ لقد كانت حياة الله الآب في ابنه. هذا لا يكون إلا إذا كان المسيح هو حقًا ابن الله المولود. إذا كان كيانًا منفصلًا، فكيف يمكن أن تكون له حياة الله الآب فيه؟

ماذا يقول الكتاب المقدس؟

لأَنَّهُ كما أَنَّ الآبَ لهُ حياةٌ في ذاتِهِ، كذلكَ أعطَى لِلابنَ أيضًا أنْ تكونَ لهُ حياةٌ في ذاتِهِ، يوحنا 26:5

كيف ترى قيمتك الآن؟ كم أنت ثمين في عيني الله؟ نحن حقًا لؤلؤة ثمينة! لقد باع التاجر كل ما يملك ليشترينا.

اقرأ هذا من المخطوطة 111، من عام 1897:

في أحلك ساعة، عندما كان المسيح يواجه أشد آلام العذاب التي استطاع الشيطان أن يسلّطها على بشريّته، حجب الآب وجه محبّته وتعزيته ورحمته عنه. وفي وسط هذا الامتحان، انكسر قلبه. فصرخ قائلًا: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟»

وبينما كان معلقًا على الصليب، التفّت الملائكة حول المتألم الإلهي. وعندما نظروا إلى قائدهم المحبوب، وسمعوا صرخته، تساءلوا بقلوبٍ تفيض بالعاطفة: «أما يخلّصه الرب يهوه؟ أما ينبغي لتلك الصرخة الممزِّقة للقلب، صرخة ابن الله الوحيد، أن تُستجاب؟» ونحن أيضًا نسأل: ماذا لو كانت قد استُجيبَت؟ ماذا لو تُرِك العالم ليهلك تحت ثقل ذنوبه المتراكمة، بينما يعود قائد السماء إلى عرشه وتاجه، تاركًا شعبًا جاحدًا لا يقدّر النعمة، ليهلك في خطاياه؟

قبل هذا بقليل، قال: «الآنَ نَفسي قد اضطَرَبَتْ. وماذا أقولُ: أيُّها الآبُ نَجِّني مِنْ هذِهِ السّاعَةِ؟» يا لها من كلمات تذيب القلب وتحرّك الوجدان. «أيُّها الآبُ، مَجِّدِ ابنَكَ ليُمَجِّدَكَ ابنُكَ أيضًا.» وقد استجاب الآب لهذا الطلب، «فجاءَ صوتٌ مِنَ السماءِ: "مَجَّدتُ، وأُمَجِّدُ أيضًا!"».

وعندما شاهدت الملائكة عذاب ابن الله الساحق، سُمع القول: «أقسَمَ الرَّبُّ ولَنْ يَندَمَ.» لقد تشابكت يد الآب والابن، وتعهّدا معًا بإتمام شروط العهد الأبدي، لإعطاء الإنسان الساقط فرصة أخرى.

«ولما رأى يَسوعُ أنَّ كُلَّ شَيءٍ قد كمَلَ، صرخ بصوت عظيم: قد أُكمل. العَمَلَ الّذي أعطَيتَني لأعمَلَ قد أكمَلتُهُ». وهكذا قدّم بشهادته الأخيرة، للناس والملائكة، الدليل القاطع على أن المهمة التي جاء من أجلها إلى الأرض — وهي خلاص عالمٍ هالك — قد تحققت من خلال موته.

عندما نطق المسيح بهذه الكلمات، خاطب أباه. لم يكن المسيح وحيدًا في تقديم هذه التضحية العظيمة، بل كان ذلك إتمامًا للعهد المعقود بين الآب والابن قبل تأسيس الأرض. وبأيدي متشابكة، دخلوا في عهدٍ مقدس بأن يكون المسيح بديلًا وكفيلًا للبشرية إذا غلبهم مكر الشيطان. كان هذا العهد قد أكمل الآن تمامًا. وبلغت الأمور ذروتها. أدرك المسيح أنه قد أوفى حرفيًا بالعهد الذي قطعه. في موته، كان أكثر من غالب. لقد دُفع ثمن الفداء. خَلَّصَتهُ يَمينُهُ وذِراعُ قُدسِهِ.

عندما صرخ المسيح: "قد أُكمل"، عرف أن المعركة قد رُبِحَت. رفع رايته على الأعالي الأبدية. ألم يكن هناك فرحٌ بين الملائكة؟ يستطيع الآن كل أولاد وبنات آدم أن يتمسكوا باستحقاقات ابن الله الطاهر، ويقولوا: مات المسيح من أجلي. هو مخلصي. لقد سُفك الدم الذي يتَكَلَّمُ أفضَلَ مِنْ هابيلَ.

انزاحت الظلمة عن المخلص والصليب. أحنى المسيح رأسه ومات. في تجسده، بلغ الحدّ المرسوم كذبيحة، ولكن لا كفادي. رُدّ على الجدل المتعلق بالتمرد. للبشرية باب مفتوح. "هذا يقولُهُ القُدّوسُ الحَقُّ، الّذي لهُ مِفتاحُ داوُدَ، الّذي يَفتَحُ ولا أحَدٌ يُغلِقُ، ويُغلِقُ ولا أحَدٌ يَفتَحُ".

عندما صرخ المسيح: "قد أُكمل"، مزّقت يد الله الخفية حجاب الهيكل من أعلاه إلى أسفله. انكشف الطريق إلى قدس الأقداس. أحنى الله رأسه راضيًا. الآن امتزجت عدالته ورحمته. كان بإمكانه أن يكون "بارًّا ويُبَرِّرَ مَنْ هو مِنَ الإيمانِ بيَسوعَ". نظر إلى الضحية وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة على الصليب، وقال: "قد أُكمل. ستُواجه البشرية محاكمة أخرى". دُفع ثمن الفداء، وسقط الشيطان كالبرق من السماء.

نحن ذوو قيمة لا متناهية عند أبينا وابنه، ربنا يسوع. لا يهم إن كانت ممتلكاتنا أقل من ممتلكات الآخرين. ولا يهم إن لم نكن نشغل منصبًا رفيعًا أو مهمًا في عملنا أو في كنيستنا. ولا يهم إن كان الناس يحبوننا أم لا. لا شيء من هذه الأمور يعطينا قيمة. يريد الشيطان أن نظن أنها كذلك، لكنها لا تعطينا قيمة. نُقدّر بالثمن اللامتناهي الذي دُفع لفدائنا - وهذا الثمن اللامتناهي كان حياة الله في ابنه. هذه هي قيمة النفس.

قيمة النّفْس

لنا قيمة لا متناهية عند أبينا وابنه، ربنا يسوع. لا يهم إن كانت ممتلكاتنا أقل من ممتلكات الآخرين. ولا يهم إن لم نكن نشغل منصبًا رفيعًا أو مهمًا في عملنا أو في كنيستنا. ولا يهم إن كان الناس يحبوننا أم لا. لا شيء من هذه الأمور يعطينا قيمة. يريد الشيطان أن نظن أنها كذلك، لكنها لا تعطينا قيمة. نُقدّر بالثمن اللامتناهي الذي دُفع لفدائنا - وهذا الثمن اللامتناهي كان حياة الله في ابنه. هذه هي قيمة النفس.